المحاضرة (01): مدخل الى علم النفس الأسري(المفهوم، الأهمية والأهداف)

يركز علم النفس الأسري على فهم العلاقات الأسرية وتأثيرها على الصحة النفسية والنمو الاجتماعي للفرد، ويجمع هذا العلم بين النظرية والتطبيق لدعم الأسر والمجتمع. لذا فإن هذه المحاضرة ستهدف إلى التعرف على مفهوم علم النفس الأسري، أهميته، وأهدافه، بما يضع الأساس لفهم ديناميكيات الأسرة وتوجيه التدخلات النفسية الفعالة.

1- مفهوم علم النفس الاسري:

يعد علم نفس الأسرة (Family Psychology) تخصصا فرعيا من تخصصات علم النفس المعاصر يجمع بين الجوانب النظرية والتطبيقية، ويغطي مجالات التدخل العلاجي والوقائي. ورغم حداثة نشأته، فإن جذوره تمتد في عمق علم النفس، ويوازي تخصصات حديثة أخرى مثل علم النفس الصحي وعلم النفس الشرعي. ويهتم هذا المجال بدراسة العوامل البيولوجية والنفسية الداخلية والعلاقات البينية والسياقات الاجتماعية لفهم وظائف الأسرة والزواج، وبمرور الوقت، تجاوز هذا التخصص المعنى الحرفي لاسمه، ليصبح مجالا يركز على التفاعلات السلوكية والمعرفية والعاطفية التي تحدث داخل الأسرة وبينها وبين الأنظمة الاجتماعية المحيطة بها.(Liddle,2002,p.xxi)

يركز علم النفس الأسري على التفاعلات والعمليات والأنماط التي تحدث داخل النسق الأسري، ويرى أن الأفراد يتأثرون بسياقهم العائلي، وأن ديناميكيات الأسرة تلعب دورا مهما في تشكيل الشخصية والمعتقدات والسلوكات. ومن خلال دراسة ديناميكيات الأسرة، يكتسب علماء النفس فهما أعمق لكيفية اشتغال الأسر، وأنماط تواصلها، وقدرتها على التكيف مع التحديات.

ومن المبادئ الأساسية في علم النفس الأسري أن الأسرة تعمل كنظام مترابط، بحيث إن أي تغيير في أحد أجزائه يمكن أن يؤثر في النسق ككل. ويؤكد هذا المنظور النسقي على الترابط المتبادل بين أفراد الأسرة، وعلى أهمية مراعاة السياق الذي تحدث فيه السلوكات. وبدل النظر إلى الأفراد بمعزل عن محيطهم، يدرس علماء النفس الأسري كيف تسهم العلاقات والتفاعلات داخل الوحدة الأسرية في تحقيق الصحة النفسية. (Michael,2024,p.1)

2-أهمية علم النفس الاسري:

يكمن جوهر أهمية علم النفس الأسري في المنظور النسقي الشامل الذي يطبقه على السلوك البشري، مما يمكن الباحثين والممارسين من فهم التفاعل المعقد بين الفرد وبيئته العلائقية والاجتماعية، ويساعد على إجراء تقييمات وتدخلات أكثر فعالية. ويمكن تلخيص أبرز محاور أهميته كما يلي:

- توفير إطار مفاهيمي شامل ونظمي فعلم النفس الأسري يعد توجها واسعا وعاما في علم النفس يستخدم النظرية المعرفية النسقية وهذا ما يميزه عن التوجهات الفردية.
- الاعتراف بالسياق حيث يدرك علم النفس الأسري أن السلوك البشري يحدث ضمن مصفوفة سياقية (contextual matrix) فهذا المنظور ضروري للتصور العام للسلوك البشري، وللتقييم النفسي، والتدخل العلاجي، والبحث العلمي.
- يمثل علم النفس الأسري تحديا للمنهج الكارتيزي المتطرف (Cartesian method) الذي يؤدي إلى: الفردية المتطرفة، الاختزال، والتفكير الخطي. ويعمل على تفادي هذه الأخطاء عبر تجنب الاختزال حيث يمنع تبسيط الظواهر المعقدة مثل الإدمان، إذ يرى أن علاج الفرد بمعزل عن بيئته الاجتماعية يؤدي إلى فشل التدخل. بالإضافة الى تجنب التفكير الخطي
- الشمولية في العلاج فيمكن للمعالج رؤية النسق الذي يعيش فيه الفرد، مما يعزز القدرة على العمل مع الأزواج، الأسر، والمنظمات الاجتماعية الأكبر.
- توجيه التدخلات القائمة على الأدلة إذ يؤكد علم النفس الأسري على أهمية منهجيات البحث الحديثة واحترام نتائج الدراسات العلمية والاعتماد على التدخلات العلاجية المستندة إلى أدلة علمية .
- معالجة المشاكل المعقدة واستيعاب الاتجاهات الديموغرافية التي تؤثر على الممارسة العلاجية والمجتمع، مثل التأخر في الزواج(Bray & Stanton,2012) .

3-أهداف علم النفس الاسري:

أهداف علم النفس الأسري تشمل عدة محاور رئيسية تهدف إلى فهم ودعم الأسرة كنظام متكامل، ويمكن تلخيصها كالتالي:

- تحسين التواصل، وحل المشكلات الأسرية، وإدارة المواقف الأسرية الخاصة، وخلق بيئة منزلية أكثر فعالية ووظائفية.

- استكشاف ديناميكيات التفاعل داخل الأسرة وعلاقتها بالاضطرابات النفسية.
- تعبئة القوى الداخلية والموارد الوظيفية للأسرة.
- إعادة هيكلة أساليب التفاعل الأسرية غير التكيفية (بما في ذلك تحسين التواصل).
- تعزيز سلوك الأسرة في حل المشكلات. (Varghese,Kirpekar,& Loganathan ,2020 ,p .193)
- فهم الأداء الأسري والصحي حيث يسعى باحثو علم نفس الأسرة إلى فهم وظيفة الزواج والأسرة، والصحة، والضيق النفسي.
- تعزيز الصحة النفسية والرفاهية للاسرة.
- فهم السياقات الاجتماعية والثقافية كدراسة تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية والبيئية على الحياة الأسرية والعلاقات.
- التركيز على الوقاية والعلاج كعلاج المشكلات الزوجية والأسرية(Liddle,2002,p.xxi) .

وفي نهاية هذه المحاضرة، نستعرض لكم موجزا لأهم ما ورد في هذه المحاضرة، كما هو موضح في الشكل التالي:

الشكل رقم(02): علم النفس الاسري وفهم الروابط العائلية. (تم الاستعانة بأداة .NotebookLM)